الفصل الثالث

مراعي الحفريات في القدس

نظيمة سعد الدين

(١)

انتهجت إسرائيل منذ احتلالها فلسطين سياسات عدة، هدفت منها فرض أمر واقع، يقضي بسيطرتها التامة على الأراضي الفلسطينية المغتصبة. وضمن تلك السياسات قيامها بأعمال حفريات واسعة، خاصة في مدينة القدس، والأماكن المقدسة بها. وقامت سلطات الاحتلال بتلك العمليات تحت مسميات مختلفة، فتارة تتحدث عن اكتشافات أثرية، وتارة أخرى عن تجديد شبكات صرف صحي، أو ما إلى ذلك[١].

قامت إسرائيل بعمليات الحفريات لتحقيق أهداف عدة أهمها فرض أمر واقع يقضي بيهودية المدينة، عن طريق تزوير التاريخ، ومحاولة اختراع تاريخ يهودي مزور، في المدينة المقدسة، أو تدمير المقدسات. وقد تمثل هذا النهج في عدد من الإجراءات التي تمت في الأماكن المقدسة، الإسلامية والمسيحية، بهدف تدميرها، وتشويه الطابع الحضاري لمدينة القدس، وإزالة الأماكن المقدسة. ويمكن إيراد بعض الأمثلة في هذا المجال:

- الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك، وتحته، بذريعة التفتيش على الهيكل الذي تدعي إسرائيل وجوده في منطقة المسجد الأقصى. وقد ابتدأت الحفريات في أواخر عام ١٩٦٧م، ولا تزال مستمرة حتى الآن. وقد مرت هذه الحفريات بمراحل عدة، وأدت إلى تصديع الكثير من العقارات المجاورة للمسجد الأقصى.

وقد سبق الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين محاولات عدة للعبث بتاريخ المدينة، عن طريق علماء آثار يهود، حاولوا، بجهد، تلفيق تاريخ في المدينة، يعود إلى ملوك اليهود، مستندين إلى أساطير اليهود، وليس إلى الحقائق العلمية.

(٢)

الحفريات التي سبقت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧:

بدأ البحث عن الآثار في فلسطين، لأول مرة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ورغم أن عددًا من الحفريات قد جرى خلال المائة عام التي سبقت الاحتلال الإسرائيلي، فإن النتائج كانت مرتبطة بفرضيات خيالية، وغير دقيقة، ومتضاربة بعضها مع بعض[٢].

بلغ عدد الحفريات في أنحاء فلسطين عشرين حفرية على الأقل، كانت برامجها وأهدافها واضحة وجلية للمتخصصين، وعندما كانت تكتشف أي طبقة من الآثار الإسلامية كانت تلقي الإهمال، والضياع، والتدمير أثناء البحث في طبقات أعمق وأقدم، ونادرًا ما توثق الحفريات الإسلامية، وإذا وثقت فبعيدًا عن النشر، والدراسة، والتعميم على المؤسسات العلمية.

لعل أول عملية تمت في القدس الشريف كانت سنة ١٨٦٣م من قبل بعثة فرنسية، برئاسة عالم الآثار (ديسولسي)، الذي اكتشف مقابر الملوك خارج بلدة القدس القديمة، وادعى بأنها ترجع إلى عصر الملك داود. وكان فيها مخطوط باللغة الآرامية، نقله ديسولسي إلى متحف اللوفر في باريس.

خلال الفترة ما بين (١٨٦٧ ـ ١٨٧٠)، قامت بعثة بريطانية باسم الصندوق البريطاني لاكتشاف آثار فلسطين، برئاسة المهندس الكولونيل تشارلز وارين، وانصب هدفه على منطقة الحرم القدسي الشريف. أما أهم مكتشفاته، فكانت آبار مائية متصلة بنبع جيحون.

ثم قام دارين بحفريات عمودية وأنفاق أفقية نحو جدران الحرم القدسي الشريف، والجنوبية، والعرضية بهدف اكتشاف طبيعة هذه الجدران، وأنواع حجارتها، التي كان يعتقد بأنها هيرودية. ومن تلك الحفريات النفق الذي يقع مدخله بين باب السلسلة، وباب القطانين، ويتعامد مع الجدار الغربي للحرم القدسي الشريف، بطول ٢٥م، وبعرض ٦م، ويصل إلى سبيل قايتباي، ولكن النفق لم يحقق لوارين آماله. فنشر نتائج حفرياته في كتابه «اكتشاف القدس» عام ١٨٧١، وفي كتابه الآخر «توثيق القدس» عام ١٨٨٤.

كما أن الأب فنسنت أجرى حفريات قرب نبع جيحون، واكتشف أروقة، ومغارات محفورة في الصخر، حوت أواني فخارية ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. ومن هذه المكتشفات استنتج الأب فنسنت بأن التل الجنوبي الشرقي كان الموقع الأصلي للقدس، وأن نبع جيحون لعب دورًا مهمًا في تشجيع إنشاء المساكن بهذا الموقع.

لقد تمت حفريات في العصور اللاحقة، لعل أهمها ما قام به الجنرال الألماني المعماري كونراد تشيك الذي تخيل ورسم الهيكل الذي حلم بإنشائه، ووصفه مزار (رئيس الجامعة العبرية سابقًا)، فيما بعد، في عام ١٩٧٥، بأنه «أسطوري». أما أهم مكتشفات هذا الجنرال، فهي القناة التي تبتدئ من أسفل المدرسة المتجكية (المجلس الإسلامي، حاليًا) وتصل إلى البرك الصخرية الرومانية الموجودة في دير راهبات صهيون، بطول حوالي ٨٠ مترًا، وارتفاع ٨ أمتار، وعرض ١,٥ متر وتقول دائرة الآثار الإسرائيلية إن تاريخ هذه القناة يرجع إلى الفترة (١٥٣ ـ ٣٧ق.م) وكانت تزود القدس، ومنطقة الحرم القدسي الشريف بالمياه.

في عهد الانتداب البريطاني في فلسطين (١٩٢١ ـ ١٩٤٨) تأسست بعض معاهد الآثار، وكان أولها «المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية» برئاسة و. أولبرايت، ثم جاء الصندوق البريطاني لاكتشاف آثار فلسطين، وتمت أهم حفرياتهم الأثرية، خلال الفترة من (١٩٢٣ ـ ١٩٢٨) في مناطق ملاصقة لبلدة القدس القديمة.

بعد ذلك، أمضى علما الآثار الفترة اللاحقة لاستيعاب، وهضم وفهم ما تم اكتشافه للوصول إلى مفاهيم أفضل حول تاريخ القدس، إلى أن بدأت فترة الحكم الأردني للضفة الغربية، وضمنها القدس (١٩٤٨ - ١٩٦٧)، فجاءت عالمة الآثار البريطانية، كاثلين كنيون، وترأست المدرسة البريطانية للآثار، ودرست ما تم التوصل إليه في أعمال من سبقها من علماء الآثار. وركزت اهتمامها على الحدود الشرقية للبلدة القديمة، ونقضت عددًا من الأفكار، والمعتقدات التي نشرها أولئك العلماء في كتابها الذي نشرته عام ١٩٦٧، بعنوان القدس ـ حفريات ٣٠٠٠ سنة، كما أنها لم تقدم شيئًا يدعم الإسرائيليين في دراستهم لآثار المنطقة الغربية من الأقصى المبارك، ويساعدهم على تحقيق هدفهم الرئيسي من تلك الحفريات، وهو تزوير التاريخ لإثبات ادعاءاتهم بوجود هيكل سليمان في مدينة القدس، ولعل ذلك ما دفعهم إلى القيام بتلك الحفريات دون الاستعانة بعلماء أوروبيين آخرين.

عقب حرب ١٩٦٧، فطنت إسرائيل إلى استحالة تمكنها من تزوير تاريخ المدينة العريقة. عبر علماء آثار أوروبيين، وحتى إن وجد بينهم من يساندهم فيما تحاول إثباته من خزعبلات، فبدأت بالقيام بذلك بنفسها، وقامت بحملات حفريات واسعة في أنحاء المدينة، مستغله بذلك تضاعف مساحة الأراضي التي اغتصبتها إسرائيل عقب هزيمة ١٩٦٧.

كان هدف السلطات الإسرائيلية، المتمثلة في سلطات الآثار، من كل هذه العمليات الحفرية هو طمس المعالم العربية والإسلامية، في محاولة لتزييف التاريخ، واستكمالًا لسياسة تهويد القدس القديمة وعبرنتها.

(٣)

- **المرحلة الأولى: من ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٠**: بدأت هذه الحفريات، في أواخر سنة ١٩٦٧، وهي مستمرة دون توقف، رغم قرارات مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، واليونسكو، التي طالبت إسرائيل بإيقاف تلك الحفريات[٣].

لعل أهم تلك الحفريات التي أنجزت حتى الآن:

حفريات جنوبي المسجد الأقصى المبارك

بوشرت هذه الحفريات في أواخر سنة ١٩٦٧، وتمت سنة ١٩٦٨، على امتداد ٧٠ مترًا أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي، أي خلف المسجد الأقصى ومسجد النساء، والمتحف الإسلامي، والمئذنة الفخرية.

وقد وصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤ مترًا، وهي تشكل، مع مرور الزمن، خطرًا يهدد بتصدع الجدار الجنوبي، ومبنى المسجد الأقصى المبارك الملاصق له. وقد مولت الجامعة العبرية هذه الحفريات، التي ترأس فريقها البروفيسور بنيامين مزار، ومساعده بنر بن دوف، ونشر أول تقرير عن نتائج التنقيب سنة ١٩٦٩. ويلاحظ خلال تلك الفترة

أن زيادة وتيرة الحفريات تزامنت مع تصاعد وتعملق المقاومة الفلسطينية، وهو ما يعتبر تصرفًا طبيعيًا، للكيان الاستعماري لمواجهة خطر القضاء عليه من قبل المقاومة المتعاظمة. ومع بدء حرب الاستنزاف، بدأت حركة الحفريات في التراجع؛ لعل ذلك نتج عن قلق داخل الكيان الإسرائيلي، وترقب لغد غير واضح المعالم.

أما ما تم اكتشافه في هذه الحفريات فكان آثارًا إسلامية أموية (٦٦٠ ـ ٧٥٠م)، فضلًا على آثار رومانية، وثالثة بيزنطية، ولكن فرن أصر، في كتابه، على أن موقع الهيكل المزعوم هو نفس موقع المسجد الأقصى المبارك، وأن مدخله من الناحية الغربية، من جهة قوس روبنسون. وقد اختلف معه البروفيسور كوفمان فيما بعد، وقال إن مدخل الهيكل من الناحية الشرقية، في موقع الباب الذهبي [٤].

لقد جاء في التقرير المبدئي عن الحفائر في القدس القديمة، لبنيامين مزار، تركزت في المنطقة المفتوحة المعروفة بأرض «الخاتونية» التي يحدها من الشمال الجزء الغربي من السور الجنوبي لجبل الهيكل، ومن الشرق والجنوب الأسوار التركية، ومن الغرب البناء الذي يضم محكمة الاستئناف الحاخامية.

وقد تم تنظيف منطقة محدودة في الطرف الجنوبي من الحائط الغربي، من الحافة الشرقية لقوس روبنسون، إلى الحائط الشمالي، وكان الهدف من وراء ذلك هو حل المشاكل الطبوغرافية الأساسية في القدس القديمة، وتتبع النحو التاريخي للاستقرار في هذا الجزء من المدينة [٥].

تقع منطقة الحفائر المتعددة، كما يذكر الكاتب، تحديد أربعة عصور: الفترة العربية، الفترة الأموية، والفترة البيزنطية، والفترة من هيرود، إلى أن تم تدميره [٦].

ركز مزار اهتمامه على قاعدة إناء عثر عليه في هذه الحفائر كتب عليه بالعبرية كلمة «قربان»، وزود بصورتين لطائرين وحاول من خلالهم تزييف الواقع [٧].

تزامن مع إجراء تلك الحفريات بعض السياسات التي انتهجتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي من جهة، والمتطرفين اليهود من جهة أخرى، فعقب حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧، وبالتحديد في ٧/ ٦/ ١٩٦٧، قام الجنرال موردخاي غور في سيارة نصف مجنزرة بالاستيلاء على الحرم الشريف في اليوم الثالث من بداية الحرب. وفي اليوم نفسه صادرت السلطات الإسرائيلية مفاتيح باب المغاربة، ولم تعدها حتى الآن. وفي ١٥/ ٦، قام شلوموجورن (الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي) وخمسون من أتباعه بإقامة صلاة دينية في ساحة الحرم الشريف، وقال جورن: «إن بعض أقسام منطقة الحرم ليست من أقسام جبل الهيكل؛ ولذلك تحريم الشريعة اليهودية لا يشمل تلك المناطق» وأكد بأنه وصل إلى تلك النتائج، بعد القيام بقياسات وشهادات تستند على علم الحفريات، وفي ١٠/ ٩/ ١٩٧٦ قامت السلطات الإسرائيلية بإلغاء الرسوم المفروضة على زوار الحرم، وقد احتج المسلمون على هذا القرار، إلا أن وزارة الدفاع الإسرائيلية أشارت إلى أن إدارة الوقف الإسلامي تستطيع أن تجمع رسوم زيارة للمساجد [٨].

ومن الواضح أن إسرائيل كانت تريد من هذه الخطوة تحقيق هدفين، **الأول**: محاولة تقليص حجم الأموال التي تجمع لصالح إدارة الوقف الإسلامي، ومن ثم عدم توفير الأموال اللازمة لعمليات صيانة وترميم الحرم القدسي، **والثاني**: تمهيدًا لوضع يد إسرائيل على الحرم القدسي، ومن ثم تقليص المناطق التابعة للأوقاف الإسلامية، واقتصارها على المساجد، وذلك لتوفير مناخ لإجراء مزيد من عمليات الحفريات بعيدًا عن أعين المسلمين.

حفريات جنوب غرب الأقصى المبارك

تم هذا الجزء من الحفريات عام ١٩٦٩، وعلى امتداد ثمانين مترًا، مبتدئة من حيث انتهى الجزء الأول. ومتجهة شمالًا، حتى وصلت «باب المغاربة»، مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية، التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي، وعددها ١٤)، صدعتها جميعًا، ومن ثم أزالتها السلطات الإسرائيلية بالجارفات بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٦٩، وأجلي أهلها [٩].

يقول «مائير بن دوف»: إنه اكتشف أساسات ثلاثة قصور (أموية، اثنان منها متشابهان، والثالث يختلف قليلًا عن سابقيه). ويقول الأستاذ بنيامين مزار في كتابه الذي نشره عام ١٩٧٥: إنه لا توجد أي بيانات عن آثار المدينة المقدسة، قبل هدم الهيكل الثاني، إلا في كتب المؤرخ اليهودي، جوسيفوس فلافيوس، الذي أرخ للفترة اليهودية، وكذلك في المشنة، والتوراة، والتلمود. وهذا يعني أن الأستاذ مزار قد استقى تخيلاته، التي نشرها عام ١٩٧٥، عن موقع الهيكل، في هذه المنطقة من هذه الكتب التي لا تتصف باستقلالية، بل تعبر عن آمال اليهود، دون الاستناد إلى حقائق تاريخية، موثقة علميًا، ويعترف مزار بأن مدينة القدس القديمة قد اختفت؛ لأن الأساس الصخري لتلك المدينة قد كشف بالحفريات الإسرائيلية الجديدة، ووجد هو نفسه أنه قطعت منه أحجار لأبنية حديثة [١٠].

إن هذا الاعتراف يتناقض، كليًا، مع الافتراضات والتخيلات التي نشرها عن موقع الهيكل الوهمي، والتي تفتقر إلى اللمسة العلمية، والحقيقة التاريخية.

لقد قامت السلطات الإسرائيلية، بالتزامن مع تلك الحفريات، بالاستيلاء على الزاوية الفخرية، التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من ساحة المسجد، وذلك بعد أن تسببت الحفريات أسفلها بتصدعها، وقامت، بعد ذلك، بإزالتها. كما استولت تلك السلطات على المدرسة التنكزية، التي تعرف بالمحكمة، وتقع عند باب السلسلة، ويستخدمها جنود الاحتلال موقعًا عسكريًا لهم، ابتداء من ٢٤/ ٦/ ١٩٦٩، وبعد أقل من شهرين (٢١/ ٨/ ١٩٦٩)، اقتحم الإرهابي «دنيس دوهان» ساحات الحرم، وتمكن من الوصول إلى المحراب، وأضرم النار فيه في محاولة لتدمير المسجد، وأتت النيران على مساحة واسعة منه، إلا أن المواطنين العرب حالوا دون امتدادها إلى مختلف أنحاء المسجد [١١].

إلى جانب إعمال الحفر المختلفة التي قامت بها السلطات الإسرائيلية بالقدس وغيرها في المناطق المختلفة من فلسطين، ألحقت متحف الآثار الفلسطينية بمصلحة الآثار الإسرائيلية ووزعت مقتنيات المتحف المسجلة على المتاحف الأخرى، كما أن سلطات الاحتلال مسؤولة عن اختفاء ونقل مخطوطات البحر الميت من متحف فلسطين إلى أمكنة مجهولة [١٢].

بدأ الإسرائيليون بأعمال الحفر والتنقيب حول الحرم مدعين البحث عن الهيكل، فهذا الجيش الإسرائيلي يطالب بإقامة كنيس يهودي فوق ساحة المسجد الأقصى المبارك (١٩٦٩) وفي صبيحة اليوم التالي لاحتلالهم المدينة قاموا بهدم ١٣٥ منزلًا للمسلمين في حي المغاربة، بهدف توسعه منطقة حائط البراق «المبكى» توطئة إلى إعادة بناء الهيكل [١٣].

دمر الإسرائيليون الحي المغربي التاريخي تدميرًا كاملًا، والذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٢٠م، ويؤكد ديفيد هوست مدمرون، والذي يقول:

«يدمرون سبعة قرون من تاريخ المسلمين ليقيموا منتزهًا أمام حائط المبكى» ومثل ذلك مقبرة ماميلا التاريخية التي تحتوي على عدد من قبور المسلمين الأنقياء والبارزين حيث جرفت البلدوزرات مساحة كبيرة منها، قلبت إلى موقف سيارات(١٤).

● **المرحلة الثانية**: من سنة ١٩٧٠ إلى عام ١٩٧٤: وقد تركزت تلك الحفريات في منطقة النفق الغربي(١٥)، وقد زادت في تلك المرحلة عملية الحفريات، ولعل أثر في ذلك عدة أسباب، أهمها: غياب جمال عبد الناصر، واندلاع حرب أكتوبر، ووقف إطلاق النار، وضرب المقاومة في غزة.

لقد أبدت «اليونسكو» قلقها من أعمال إسرائيل في القدس، منذ عام ١٩٦٨، ثم كرر المجتمع الدولي دعواه لإسرائيل بالتوقف عن الحفريات في القدس، وعن تغيير خصائص المدينة، أو شكلها التاريخي، والثقافي، ولكن دون جدوى(١٦).

لقد امتد النفق من أسفل المحكمة الشرعية (وهي من أقدم الأبنية التاريخية بالقدس)، ومر أسفل خمسة من أبواب الحرم الشريف هي: باب السلسلة، وباب المطهرة، وباب القطانين، وباب علاء الدين البصيري (المسمى بباب المجلس الإسلامي)، كما مر تحت مجموعة من الأبنية التاريخية، الدينية، والحضارية، ومنها أربعة مساجد، ومئذنة قايتباي الأثرية، وسوق القطانين (أقدم سوق أثري إسلامي في القدس)، وعدد من المدارس التاريخية، ومساكن يقطنها حوالي ٣٠٠٠ عربي مقدسي(١٧).

وصلت حفريات النفق إلى عمق تراوح بين (١١ - ١٤م) تحت الأرض، وطول حوالي (٤٥٠م)، وارتفاع وصل إلى ٢,٥٠ مترًا، ونتج عن هذه الحفريات تصدع عدد من الأبنية، منها الجامع العثماني، ورباط كرد، والمدرسة الجوهرية، والمدرسة المنجكية (مقر المجلس الإسلامي)، والزاوية الوفائية، وبيت الشهابي، ويمر النفق بآثار أموية، وبيزنطية، عبارة عن جدران وأقواس(١٨).

وحدثت اهتزازات مؤكدة للأرض فوق الأنفاق، كانت من المحتمل أن تضع العمارات بهذه المنطقة في خطر محقق(١٩).

● **المرحلة الثالثة**: **من حرب ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧**، بدأت تلك المرحلة بحرب أكتوبر، وانتهت بعقد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، في ١٩/ ١١/ ١٩٧٧، كما شهدت توقيع اتفاقية فصل القوات الثانية في ٩/ ٥/ ١٩٧٧. وقد أخذت الحفريات الإسرائيلية بعدًا مختلفًا، فقد تسارعت معدلاته، واتسعت رقعته. فشهدت منطقة جنوب شرق الأقصى المبارك عملية حفريات بدأت في سنة ١٩٧٣، واستمرت حتى سنة ١٩٧٤، وامتدت إلى مسافة ٨٠ مترًا للشرق، واخترقت في شهر تموز/ يوليو ١٩٧٤ الحائط الجنوبي للحرم القدسي الشريف، ودخلت إلى الأروقة السفلية للمسجد الأقصى المبارك، في أربعة مواقع:

(أ) أسفل محراب المسجد الأقصى المبارك، وبطول ٢٠م إلى الداخل.

(ب) أسفل جامع عمر (الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى).

(ج) أسفل الأبواب الثلاثة للأروقة، الواقعة أسفل المسجد الأقصى المبارك.

(د) أسفل الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى.

لقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من ١٣م، وأصبحت تعرض جدار الأقصى الجنوبي لخطر التصدع والانهيار، وبسبب العوامل التالية[٢٠]:

** قدم البناء.

** تفريغ التراب الملاصق للجدار من الخارج إلى عمق كبير، فأصبح هناك فرق كبير بين منسوبي الداخل والخارج.

** ارتفاع منسوب المياه الجوفية.

** ضجيج الطائرات الحربية، يوميًا، فوق المنطقة، واختراقها لحاجز الصوت، وهذه تؤثر على جميع المعالم الإسلامية الدينية، والتاريخية، بما في ذلك مبنى المسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة.

المرحلة الرابعة: من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٧: ولعل أهم ما شهدته تلك المرحلة هو توقيع اتفاقية كامب ديفيد، والتي أعقبها حملة ضارية على المقدسات الإسلامية في مدينة القدس، مستندة إلى الالتزام بالاتفاقية من جهة واحدة، بعد أن أوهمت العالم بنيتها، ومساعيها للسلام.

● **الحفريات من (١٩٨١ إلى ١٩٨٤)**[٢١]:

٢٨/ ٨/ ١٩٨١ الإعلان عن اكتشاف نفق يمتد من أسفل الحرم القدسي، ويبدأ من حائط المبكى، وقد طلب كل من وزير الأديان السابق، أهارون أبو حصيرة، ووزير الدفاع، آرييل شارون، إحاطة الموضوع بسرية تامة، وأفادت التقارير أن السرداب قام بحفره حاخام حائط البراق (المبكى)، وعمال من وزارة الشؤون الدينية، وكان العمل قد بدأ قبل شهر، وكبير الحاخامات، شلوموغورن، يأمر بإغلاق الممر نظرًا لحساسية الموضوع.

● ٢٩/ ٨/ ١٩٨١: حذر البروفيسور يغئال يادين، عالم الآثار الإسرائيلي، من الحفريات أسفل الحرم القدسي.

● ٣١/ ٨/ ١٩٨١: أدى استمرار الحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك إلى تصدع خطير في الأبنية الإسلامية الملاصقة للسور الغربي.

● ١٢/ ٥/ ١٩٨٢: مراقب بلدية القدس الغربية يدخل المسجد الأقصى بمساعدة الشرطة للتأكد من ادعاءات عضو الكنيست غيئو لاكوهين حول وجود أبنية غير قانونية في المسجد الأقصى، حيث طالبت بناء على مزاعمها بفرض حظر على أعمال البناء والترميم في المسجد الأقصى.

● ١٢/ ٣/ ١٩٨٣: اكتشاف عدة فتحات جديدة تحت الحائط الجنوبي للمسجد، حيث يعتقد بأن المتطرفين اليهود قاموا بحفرها أثناء محاولتهم اقتحام الحرم الشريف.

● ٢٣/ ٤/ ١٩٨٤: الحفريات التي تجري بمحاذاة سور المسجد الأقصى الغربي قد أثرت على أساسات العمارات الإسلامية الأثرية الموجودة فوقها، مما أدى إلى تشقق العمارات وجدرانها، ومن ضمن هذه العمارات «دائرة الأوقاف الإسلامية»[٢٢].

● ٢/ ٣/ ١٩٨٧: أعلن الإسرائيليون بأنهم اكتشفوا القناة التي كان قد اكتشفها قبلهم الجنرال الألماني،

كونراد شيك، في القرن التاسع عشر بطول ٨٠م، ولم يكتف الإسرائيليون بإيصال النفق بالقناة، بل قاموا، بتاريخ ٧/ ٧/ ١٩٨٨، وتحت حماية الجيش، بحفريات جديدة عند ملتقى باب الغوانمة، مع طريق المجاهدين (أو طريق الآلام) واستخدموا فيها آلات الحفر الميكانيكية، بهدف حفر فتحة رأسية، ليدخلوا منها إلى القناة الرومانية، وإلى النفق، ولكن المواطنين المقدسين تصدوا لهم، ومنعوهم من الاستمرار، فاضطرت السلطات الإسرائيلية إلى إقفال الفتحة، وإعادة الوضع السابق [٢٣].

منذ ذلك الحين، والمعركة دائرة. وقد قامت سلطات السياحة الصهيونية بترتيب رحلات سياحية داخل هذه الأنفاق منذ عدة سنوات، وكانت تتقاضى عشرة دولارات للرحلة الواحدة، تبدأ من حائط البراق، وتنتهي عند الفتحة التي كانوا قد قاموا بفتحها مؤخرًا، والعودة عبر الطريق نفسه[٢٤].

أدت هذه الحفريات إلى زعزعة أساسات الأماكن الأثرية، وتصدعها، وهدمها فيما بعد.

لقد اعترف بذلك أحد مهندسى العملية ضمنيًا عندما قال: إنهم يراقبون التشققات التي تحدث في الأبنية، ويعالجونها بطرق فنية[٢٥].

- **المرحلة الخامسة**: **من اتفاقية أوسلو ١٩٩٣: إلى الآن**، قد أخذت تداعيات أوسلو على مدينة القدس بشكل عام، وعلى الحفريات بشكل خاص، فقد تزايدت وتيرتها، وتصاعدت اعتداءاتها على المدينة المقدسة وسكانها، مستغلة الصمت الدولي حيال تلك السياسات الإسرائيلية.

- **الحفريات في المسجد الأقصى من (١٩٩٦ : ٢٠٠٠)**[٢٦]

- ٧/ ٧/ ١٩٩٦: حفريات إسرائيلية خطيرة تؤدي إلى اهتزازات في الحائط الغربي للمسجد الأقصى.

- ١٤/ ٩/ ١٩٩٦: فتح نفق تحت السور الغربي.

- ٢٨/ ١/ ١٩٩٧: استمرار الحفريات الإسرائيلية من الجنوب الغربي للمسجد الأقصى باتجاه الغرب، بارتفاع ٦ - ٩ أمتار.

- ١٠/ ٨/ ١٩٩٩: قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بإغلاق نافذة في جدار الأقصى القديم كانت قد فتحت ليتم عن طريقها التهوية، ومعالجة الرطوبة.

- ٣١/ ٨/ ١٩٩٩: الكشف عن مخططات إسرائيلية لهدم القصور الأموية المحاذية للمسجد الأقصى، وتوسيع حائط البراق، المبكى، بقصد تهويد المكان، وتخريب المعالم الإسلامية.

- ١٣/ ٩/ ١٩٩٩: الحكومة الإسرائيلية تبحث خططًا لفرض هيمنتها على الحرم القدسي الشريف، مثل استبدال حراسة الشرطة بوضع أبواب إلكترونية وسياج مكهرب.

- ٣/ ١٢/ ١٩٩٩: السلطات الإسرائيلية تهدد بقطع المياه عن الأوقاف الإسلامية بسبب أعمال الترميم في الحرم القدسي الشريف.

• ١١/ ١/ ٢٠٠٠: المحكمة العليا الإسرائيلية ترد التماسًا تقدمت به مجموعة ما يسمى **«أمناء جبل الهيكل»**، لوقف أعمال الترميم في المسجد الأقصى، وأكدت المحكمة في قرارها بأن المستوى السياسي هو المسؤول عن البت في قضايا المسجد الأقصى المبارك.

• ١٢/ ١/ ٢٠٠٤: «مؤسسة الأقصى» تكشف عن مخطط إسرائيلي بحفر نفق جديد يمر تحت ساحة البراق، وتحت باب المغاربة، ومنه إلى الحائط الجنوبي لحرم المسجد الأقصى، وسيشكل النفق امتدادًا للنفق الأول، الذي تم شقه عام ١٩٩٦، أسفل حائط البراق، وطريق الآلام بالمدينة المقدسة[٢٧].

• ١٧/ ٨/ ٢٠٠٦: كشفت «مؤسسة الأقصى» عن نفق أرضي، يحفر تحت مسجد عين سلوان، والروضة المجاورة، بعمق أكثر من ١٢ مترًا، نفق يكشف أوله، أما امتداده فمخفي بحاجز خشبي. تشعُّب هذه الأنفاق وعمقها أدى إلى انهيار ترابي كبير تحت ساحة مسجد عين سلوان. كما رصدت المؤسسة عمليات الحفريات، تدعي إسرائيلي بأن أرضية النفق المذكور هو جزء من الطريق الهيرودياني، والذي تدعي إسرائيل بأن استمرار عملية الحفر فيه كشف عن آثار للتاريخ العبري المزعوم، من عهد الهيكل الأول والثاني[٢٨].

• ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٦: اكتشفت «مؤسسة الأقصى»، وجود تشققات خطيرة في الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، من جانبي المدرسة الختنية. أكدت المؤسسة بدايات لانهيار ترابي أسفل المنطقة الوسطى للجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، حيث المدرسة الختنية، وأضافت المؤسسة، ومن خلال رصدها خطورة الوضع، خاصة وأن السلطات الإسرائيلية التي تسيطر على الموقع قامت بنصب سياج حديدي في المنطقة، ونصبت لافتة منعت فيها الاقتراب من الموقع لخطورته[٢٩].

• ١٠/ ١/ ٢٠٠٧: **تواصل الحفريات في منطقة حمام العين**:

رصدت «مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية» حفريات واسعة تجريها جمعية «عطرات كوهانيم» اليهودية، بواسطة سلطة الآثار، في منطقة حمام العين، وهي المنطقة الموجودة نهاية شارع الوادي في البلدة القديمة بالقدس، وتبعد أمتارًا عن مدخل حائط البراق، والجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، وتتسع الحفريات يومًا بعد يوم[٣٠].

لقد لوحظ، في خلال زيارة ميدانية للموقع، بأن الحفريات الإسرائيلية عميقة جدًّا، يتجاوز عمقها الـ٢٥ مترًا تحت الأرض، وبعرض يتجاوز ٣٠ مترًا، باتجاه جنوب شمال، وبطول لا يقل عن ٤٠ مترًا باتجاه باب المطهرة، وهذه الحفريات لا تبعد سوى أمتار قليلة عن باب المطهرة، وأسوار المسجد الغربية[٣١].

• ١٥/ ١/ ٢٠٠٧: **حفريات إسرائيلية جديدة أقصى ساحة البراق «حارة المغاربة»**:.

لاحظ طاقم المؤسسة بأن السلطات الإسرائيلية، متمثلة بسلطات الآثار الإسرائيلية، تقوم بعملية حفريات واسعة بالمنطقة، وعلى مساحة واسعة، حيث ظهرت، وبشكل واضح، آثار لمبان عربية، وإسلامية كثيرة، من حقب تاريخية قريبة وبعيدة المدى، من الفترة العثمانية، والعهود الإسلامية التي سبقتها، كالفترة المملوكية، والأيوبية، وكان الموقع يزدحم بعشرات الحفارين. وخلال أيام معينة من عمليات الحفر شاركت آليات حفر ثقيلة، كالجارفات،

والشاحنات، بعمليه الحفر، وترافقت عمليه الحفر بإزالة، وتفريغ المنطقة من مئات، إن لم يكن الآلاف من أكوام الأتربة [٣٢].

● ٢٨/ ١/ ٢٠٠٧: قامت جمعية ألعاد الإسرائيلية، وبواسطة سلطة الآثار الإسرائيلية، بحفر نفق جديد بدأ من أسفل منطقه عين سلوان، يمر بمحاذاة مسجد سلوان، وتحت أرض وقفية مسيحية، واتجه النفق شمالًا باتجاه السور الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، ومن المفترض، حسب ما علمت «مؤسسة الأقصى»، أن يتواصل حفر هذا النفق مئات الأمتار حتى يصل إلى الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى، أسفل المتحف الإسلامي، الواقع داخل المسجد الأقصى المبارك [٣٣].

منذ بدء الحفريات الأثرية في المدينة المقدسة لاقت المعارضة الشديدة من أطراف إسلامية، ومنظمات دولية، ومن الذين لم يقبلوا أعمال الباحثين الإسرائيليين في القدس، بغض النظر عما وجدوا من الآثار. وفي كثير من الأحيان كانت هذه المعارضة شديدة، وصلت إلى مواجهات، عندما يشتد التحريض. كل هؤلاء المعارضين للحفريات أبدوا تخوفهم من هدم الأسوار، والمساجد في الأقصى.

لم تنته الحفريات الأثرية بهذه المنطقة، ففي العامين الأخيرين قامت سلطة الآثار بحفريات أثرية واسعة في ساحات البراق، وأنحاء المدينة المقدسة، والتي يتضح منها هدف تلك الحفريات الرئيسي، وهو فرض سياسة الأمر الواقع مستبقة أي اتفاق سياسي مستقبلي، قد يعطي للعرب الفلسطينيين أي حقوق في المدينة، بأن تصبح المناطق الأثرية المهمة بالمدينة قد خضعت بالفعل لعمليات إزالة وهدم، ومن ثم سهولة ادعاء يهوديتها.

وبعد، فهل يمكن حماية القدس ومقدساتها بالصدور العارية للمقدسيين وحدهم؟! وهل يستطيع الأخيرون رد الهجمة الإسرائيلية بصدورهم العارية، دون الرمح العربي، والدرع الإسلامي؟! وإلى أي مدى يمكننا الاعتماد على توعد بعض حكام العرب لإسرائيل، بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هي أقدمت على هدم الأقصى؟ أم أننا سنسمعهم عندها، يقولون: «للأقصى ربٌّ يحميه»!

* * *

هوامش الفصل الثالث:

(١) عرفة عبده علي، **القدس العتيقة، مدينة التاريخ والمقدسات**، سلسلة «هوية المكان»، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٢) المهندس رائف يوسف نجم، الحفريات الأثرية في القدس، مقدمة لندوة **القدس ٥٠٠٠ عام**، تموز/ يوليو ١٩٩٧ ص ١.

(٣) **تقارير مؤسسة إعمار الأقصى**، بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٧.

(٤) دراسة الحفريات الأثرية، **مصدر سبق ذكره**، ص ١ ، ٢.

(٥) عبد الحميد زايد، **القدس الخالدة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سلسله تاريخ المصريين، ٢٠٠٠، ص ٢٨٣.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٨٣ -٢٨٤.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٢٨٤.

(٨) **الأقصى في خطر/ الاعتداءات على المسجد الأقصى المبارك وباب المغاربة**، القدس المحتلة، مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، د.ت، ص ٤-١٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٥.

(١٠) يوسف، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

(١١) الأقصى في خطر، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

(١٢) زايد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(١٤) هنري كتن، القدس، ترجمة إبراهيم الراهب، ط١، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٧، ص٦٩.

(١٥) نجم، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

(١٦) كتن، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

(١٧) نجم، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

(١٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٩) كتن، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

(٢٠) نجم، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

(٢١) مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، **تقرير عن الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى**، من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٤، د.ت.

(٢٢) نجم، مصدر سبق ذكره، ص ٥ -٦

(٢٣) المصدر نفسه، ص٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٨.

(٢٥) **القدس أمانة في عنق كل عربي ومسلم**، حقائق ومعلومات، إصدار لجنة القدس، الندوة السابعة، عمان، (٥ ـ ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٦، ص ٧.

(٢٦) مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، **تقرير عن الاعتداءات على الحرم القدسي في الفترة من (١٩٩٦ إلى ٢٠٠٠)**، آذار/ مارس ٢٠٠١، القدس المحتلة.

(٢٧) الأقصى في خطر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٤٤ -٤٥.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٤٤.

* * *